مجلة حوليات التراث
Revue Annales du Patrimoine
P-ISSN 1112-5020 / E-ISSN 2602-6945

الخلوة في التصوف الإسلامي مقاربة فكرية

Seclusion in Islamic Sufism
Intellectual approach

د. الشارف لطروش
جامعة مستغانم، الجزائر
charef500@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/8/23 - تاريخ القبول: 2022/9/2

22
2022

الإحالة إلى المقال:
* د. الشارف لطروش: الخلوة في التصوف الإسلامي، مقاربة فكرية، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد الثاني والعشرون، سبتمبر 2022، ص 111-119.

BY-NC-ND

http://annales.univ-mosta.dz

***

مجلة حوليات التراث، العدد 22، 2022، ص 111 - 119
P-ISSN 1112-5020 / E-ISSN 2602-6945

الخلوة في التصوف الإسلامي
مقاربة فكرية

د. الشارف لطروش
جامعة مستغانم، الجزائر

الملخص:

الخلوة في الفكر الصوفي الإسلامي سلوك وطريق في مجاهدة النفس وترقيتها وتربيتها على الصبر والطاعة، وقد عرفت قبل الإسلام وبعده، وهي تتضمن الذكر والتعبّد والتقرّب إلى الله بعيدا عن أمور الدنيا ومشاغلها. وفي هذا البحث عالجتُ الموضوع في مبحثين اثنين، حيث تناولتُ في المبحث الأول مفهوم الخلوة: لغة واصطلاحا، وأهميتها عند الصوفية، وفي المبحث الثاني سلطتُ الضوء على: شروط الخلوة ومبادئها ومشروعيتها عند أهل التصوّف. وأمّا حدود البحث وأهدافه فتتمثّل في استقراء ما كتبه كبار الصوفية عن الخلوة وأهميتها ومكانتها عندهم، ولذلك كان منهج البحث استقرائيا وصفيا في عمومه. ومن أهمّ نتائج البحث ما يأتي: الخلوة من الأركان الرئيسية عند المتصوفة القدماء والمحدثين على السواء، وهم يحرصون عليها حرصا شديدا، ويضعون لها شروطا وقواعد كثيرة، وهي من مظاهر الطاعة ومجاهدة النفس عندهم، ويعتقدون أن من فوائدها الوصول إلى درجة الكشف وتحصيل المعارف والصفاء الروحي ونيل الدرجات.

الكلمات الدالة:

الخلوة، التصوف، المعرفة، الروح، المجاهدة.

Seclusion in Islamic Sufism
Intellectual approach

Prof. Charef Latroche
University of Mostaganem, Algeria

Abstract:

Seclusion in Islamic Sufi thought is a behavior and a way of striving for the soul, promoting it, and raising it on patience and obedience. In this research, I dealt with the subject in two sections, where in the first section I dealt with the concept of seclusion: language and terminology, and its importance for Sufism, and in the second topic I shed light on: the conditions, principles and legitimacy

تاريخ الاستلام: 2022/8/23 - تاريخ القبول: 2022/9/2
charef500@yahoo.fr
© جامعة مستغانم، الجزائر 2022

of seclusion among the people of Sufism. As for the limits of the research and its objectives, it is represented in the extrapolation of what was written by the great Sufis about "khilwa" and its importance and place for them, and that is why the research method was inductive and descriptive in general. Among the most important results of the research are the following: seclusion is one of the main pillars of ancient and modern Sufis, who value it very much, and set many conditions and rules for it, and this is the one of the manifestations of obedience and personal effort for them, and they believe that one of its advantages is to reach the degree of disclosure and acquisition of knowledge and spiritual serenity and to obtain degrees.

Keywords:

spiritual loneliness, mysticism, knowledge, spirit, striving.

التمهيد:

التصوّف ظاهرة انتشرت في العالم الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري، لها طرق كثيرة وألوان، ولكلّ طريقة شيخها، ولكلّ شيخ فكره وسلوكه وتفسيره لمصطلحات التصوف، ولكل طائفة أورادها وأذكارها، ولكنهم يتفقون على أن الخلوة من أركان التصوف الأربعة وهي: الجوع أو قلة الطّعام، والصمت أو قلة الكلام، والسهر أو قلة المنام، والخلوة أو قلة مخالطة الأنام.

1 - مفهوم الخلوة وأهميتها:

أ ـ مفهوم الخلوة لغة واصطلاحا:

ـ الخلوة لغة: جاء في لسان العرب قول المؤلف: "خلا المكان، والشيء يخلو خلوّا وخلاء، وأخلى إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه، وهو خال، والخلاء من الأرض، وقرار خال... ومكان خلاء لا أحد به، ولا شيء فيه، وأخلى المكان جعله خاليا"[1].

وفي الاصطلاح الخلوة لها عدّة مفاهيم أهمّها ما يأتي[2]:

ـ الخلوة ترك اختلاط النّاس وإن كان بينهم.

ـ الخلوة الخلو عن جميع الأذكار إلاّ عن ذكر الله تعالى.

ـ الخلوة محافظة الحواس وترك الاستئناس بالناس.
ـ الخلوة المفارقة عن النظر والأقران قلبا وقالبا.
ـ الخلوة الأنس بالذكر والاشتغال بالفكر.
ـ الخلوة انقطاع عن البشر لفترة محدودة، وترك للأعمال الدنيوية لمدة يسيرة، كي يتفرغ القلب من هموم الحياة التي لا تنتهي، ويستريح الفكر من المشاغل اليومية التي لا تنقطع، ثم ذكر الله تعالى بقلب حاضر خاشع، وتفكّر في آلائه تعالى آناء الليل وأطراف النهار[3].

ب - أهمية الخلوة وفوائدها عند الصوفية:

الخلوة شكل من أشكال العزلة وطريق من طرق الترقية، وسلوك في مجاهدة النفس وتزكيتها، وتربيتها على الصبر والطاعة، وهدفها لا يخرج عن أهداف التصوف العامة وغاياته، و"هو الميل بالإنسان عن العالم المادي والارتفاع به إلى العالم الروحي"[4].

ولأهمية الخلوة ألّف فيها كثيرون، منهم عبد الوهاب الشعراني (ت 973هـ) صاحب كتاب "الجوهر المصون والسرّ المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم"، ولمحي الدين بن عربي (ت 638هـ) كتاب "الخلوة" حيث ميّز فيه بين الخلوة المقيّدة بالشريعة الإسلامية وهي خلوة الصوفية، والخلوة المطلقة التي تصلح للجميع من مؤمن وكافر[5]، وكتب فيها الحارث بن أسد المحاسبي (ت 243هـ) كتاب "الخلوة والتنقل في العبادة ودرجات العابدين".

وكان مشايخ التصوّف يوصون الناس بالخلوة والعزلة، ومن ذلك قول أبي القاسم القشيري (ت 514هـ): "حدّثنا قاسم بن أحمد، قال: سمعت ميموناً الغزالي قال: قال أبو الربيع الواسطي: قلت لداود الطائي: أوصني. فقال: صم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفرّ من الناس كفرارك من السباع"[6].

عُرفت الخلوة في الديانات وفي الملل الأخرى على أنها من وسائل التعبد والتأمل، فقد عرفها المصلح "بوذا" ومارسها حيث كان يختلى بعيدا عن الناس بحثا عن الصفاء، كما اختلى النبيّان يحيى وموسى ومريم عليهم السلام، وكما اختلى

رسول الله صلى الله عليه وسلّم في غار حراء قبل البعثة.

ويعتقد الصوفية أنّ الخلوة تتحقق للعابد الاستكانة والهدوء، حيث الذكر والتعبّد والتقرّب إلى الله بعيدا عن أمور الدنيا، حتى يمنّ الله عليه بما شاء من اللّمحات النورانية التي تضيء له الأفق، فيرى شيئا من حقائق العلم والمعرفة، التي لا يستطيع الحصول عليها بالوسائل العادية، سواء بالعقل أو بالحواس[7].

وذكر أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) في كتاب "الإحياء" أنّ في الخلوة والعزلة ست فوائد دينية ودنيوية هي: التفرّغ للعبادة والفكر والاستئناس بمناجاة الله، التخلّص من المعاصي، الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس، الخلاص من شرّ الناس، أن ينقطع طمع الناس عن العبد وطمعه عن الناس، الخلاص من مشاهد الثقلاء والحمقى ومقاساة حمقهم وأخلاقهم[8].

ويعتقد بعضهم أن خلوة الأربعين يوما تفضي إلى الكشف ونيل العلوم، فقد قال شهاب الدين السهروردي (ت 632هـ) عن نتائجها ما نصّه: "فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا"[9].

وللشاعر الصوفي صفي الدين الحلي (ت 752هـ) شعر يتغنى فيه بالخلوة وآثارها النفسية، وفوائدها على عقله وقلبه والمعارف التي يحصل عليها من خلالها، منها مقطوعة بعنوان "وأطيب أوقاتي من الدهر خلوة"[10]، قال فيها:

وَأَطيَبُ أَوقاتي مِنَ الدَهرِ خَلوَةٌ ... يَقَرَّ بِها قَلبي وَيَصفو بِها ذِهني
وَتَأخُذُني مِن سَورَةِ الفِكرِ نَشوَةٌ ... فَأَخرُجُ مِن فَنٍّ وَأَدخُلُ في فَنّ
وَيَفهَمُ ما قَد قالَ عَقلي تَصَوُّري ... فَنَقلي إِذا عَنّي وَسَمعي بِها مِنّي
وَأَسمَعُ مِن نَجوى الدَفاتِرِ طُرفَةٌ ... أُزيلُ بِها هَمّي وَأَجلو بِها حُزني
يُنادِمُني قَومٌ لَدَيَّ حَديثُهُ ... فَما غابَ مِنهُم غَيرُ شَخصِهِم عَنّي

2 - شروط الخلوة ومبادئها، ومشروعيتها:

أ ـ شروط الخلوة ومبادئها:

ذكر عمر بن سعيد الفوتي (ت 1281هـ) ستة وعشرين شرطا لصحة الخلوة

أهمها: السهر، والذكر، وخفة الأكل، والعزلة، ودخولها بحضور الشيخ ومباركته للمختلى وللمكان، وأن يستعين المختلى ويستمد من أرواح مشايخه بواسطة شيخه المشرف، وأن يباشرها غير مستند إلى جدار المكان، ولا متكئاً على شيء، مغمضاً مطرقاً رأسه تعظيماً لله، وأن يجعل خيال شيخه بين عينيه، فإنه معه وإن لم يره، وأن تكون الخلوة مظلمة، لا يدخل فيها شعاع الشمس ولا ضوء النهار، وأن يداوم السكوت إلا عن ذكر الله، وأن تكون الخلوة بعيدة عن حس الكلام، ولغط الناس، وألا ينام إلا إذا غلبه النوم[11].

وفي هذه الشروط تشديد على العباد لم يثبت أن نصّ عليه الحنيف، ولو أنّ في القرآن الكريم والسنّة النبوية نصوص تحث على مجاهدة النفس ومخالفة الأهواء، والتقرب إلى الله بالعبادات، لكن بدون وضع برنامج صارم مثل ما هو منصوص عليه في رسائل بعض الصوفية.

وقد شرح أبو حامد الغزالي أهم مبادئ الخلوة وسلوك العابد فيها فقال: "إنّ المتصوّف إذا جلس في مكان خال، وعطّل طريق الحواس، وفتح عين الباطن وسمعه، وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت، وقال دائما الله الله الله، بقلبه دون لسانه، إلى أن يصبر لا خبر معه في نفسه ولا من العالم، ويبقى لا يرى شيئا إلّا الله سبحانه وتعالى، انفتحت تلك الطاقة، وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم، فتظهر له أرواح الملائكة والأنبياء، والصور الحسنة الجميلة، وانكشف له ملكوت السموات والأرض، ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه..."[12].

ونتلخّص مبادئ الخلوة والعزلة عند الصوفية في ما يأتي"[13].

ـ الابتعاد عن الناس مدة تقل أو تقصر، واجتناب كل اتصال ومخالطة.

ـ الصيام والتأمل وقراءة القرآن، والدعاء والابتهال أثناء الخلوة.

ـ تتم الخلوة إمّا داخل جماعة هادئة وسط أخوة، أو في مكان ناء منعزل: كهف أو مغارة.

ـ أن يتمكن المريد من أن يبتعد عن وساوس الشيطان، والإعراض عن مألوفات الطبع، وعن الانشغالات الخارجية.

ب - مشروعية الخلوة عند الصوفية:

يرى أهل التصوّف أنّ الخلوة ضرورية وهامّة، وفيها اقتداء بالنبيّ ـ صلى الله عليه وسلّم ـ الذي قام بالخلوة قبل البعثة، وبعد البعثة في أثناء شهر رمضان، وهو الاعتكاف في العشر الأواخر منه، ومارسها الصحابة اقتداء به، وقام بها التابعون من بعدهم[14]، وأنها مشروعة بالنصّوص أيضا منها قوله تعالى: "فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ"[15]، وأن فيها تأسيا بالرسول وعملا بقوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"[16].

كما يستدلون على مشروعيتها بالحديث الذي رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي قال: "أوّل ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلّم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلاّ جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبّب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء فيتحنّث فيه..."[17].

وقد كان هذا الحديث الشريف من الأدلة التي استدل بها الفوتي على ثبوت الخلوة في السنّة النبوية حيث قال: "فهذا الحديث المنبىء عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم هو الأصل في إثبات المشايخ للخلوة لمريدين من الطالبين"[18].

وأيضا يحتجون بحديث البخاري الذي رواه عن أبي هريرة عن النبي الذي يقول فيه: "سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظلّه، يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه"[19].

واحتج الإمام القشيري على مشروعية الخلوة بمجموعة كبيرة من أقوال السابقين من أعلام التصوف واحتج خاصّة بحديث[20] أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي قال فيه: "من خير معايش الناس لهم، رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل مظانه أو رجل في غنيمة في رأس شعفة من هذه الشعف، أو بطن واد من هذه الأودية، يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين"[21].

الخاتمة:

نستخلص من هذا البحث أنّ الخلوة من أركان التصوّف، يحرص الصوفية

على أدائها من أجل تربية النفس ومجاهدتها والارتقاء بها إلى مقامات عليا، والوصول بها إلى الصفاء الروحي، وتحصيل الجزاء والثواب، وتحصيل المعارف عن طريق الكشف.

وقد وضعوا لها شروطا كثيرة، تصل إلى درجات الحرمان القصوى، والبعد عن ملذات الحياة وعن كثير من المباحات، وقد استندوا في مشروعيتها على تأويل بعض النصوص من القرآن الكريم والسنّة النبوية.

الهوامش:

1 ـ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط4، بيروت 2005م، مج5، ص 148.

2 ـ ينظر، محمود بن أحمد الفاريابي: تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق، دار ابن حزم، بيروت 2000م، ج1، ص 387.

3 ـ ينظر، عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوّف، دار العرفان، ط16، حلب 2007م، ص 123.

4 ـ أبو الحسن الهجويري: كشف المحجوب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1974م، ص 2.

5 ـ بكري علاء الدين: كتاب الخلوة لابن عربي دراسة وتحقيق، مجلة البحث العلمي والأكاديمي، عدد 37، تركيا 2016، ص 5.

6 ـ أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، 2006، ص 104.

7 ـ ينظر، عبد المحسن سلطان: التصوّف الإسلامي في مراحل تطوّره، دار الآفاق العربية، القاهرة 2002م، ص 76.

8 ـ ينظر، أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المنهاج، ط1، جدة 2011م، مج4، ص 265.

9 ـ شهاب الدين السهروردي: عوارف المعارف، دار المعارف، القاهرة، ج2، ص 38.

10 ـ ينظر، صفيّ الدين الحليّ: ديوان صفي الدين الحليّ، دار صادر، بيروت، ص 667.

11 ـ ينظر، شروط الخلوة الصوفية: موسوعة الفرق، المطلب الثاني، نسخة محفوظة، 2020م.

12 ـ أبو حامد الغزالي: كيمياء السعادة، مكتبة الجندي، القاهرة، ص 126.

13 ـ جان شوفليي: التصوف والمتصوفة، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، بيروت 1999م، ص 113.

14 ـ ينظر، عبد المحسن سلطان: التصوّف الإسلامي في مراحل تطوّره، ص 78.
15 ـ سورة الذاريات، الآية 50.
16 ـ سورة الأحزاب، الآية 21.
17 ـ محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، دار ابن كثير، بيروت 2007م، الحديث رقم 6581.
18 ـ ينظر، غالب بن علي عواجي، فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام ومواقف الإسلام منها، المكتبة الذهبية العصرية، ط4، جدّة 2001م، ج3، ص 948.
19 ـ محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع الصحيح، الحديث رقم 6806.
20 ـ ابن ماجة: صحيح سنن ابن ماجة، تحقيق ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط1، الرياض 1997م، الحديث رقم 3227.
21 ـ ينظر، أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية، ص 104.

References:

* - The Holy Quran.

1 - ʻAlāʼ al-Dīn, Bakrī: Kitāb al-khulwa li Ibn ʻArabī, dirāsa wa taḥqīq, Majallat Tasawuf, Ilmî ve akademik araştırma dergisi, N° 37, Türkiye 2016.

2 - ʻAwajī, Ghālib ibn ʻAlī: Firaq muʻāṣira tunsab ilā al-Islām, Al-Maktaba al-Dhahabiyya al-ʻAṣriyya, 4th ed., Jeddah 2001.

3 - ʻĪsā, ʻAbd al-Qādir: Ḥaqāʼiq ʻan at-taṣawwuf, Dār al-ʻIrfān, 16th ed., Aleppo 2007.

4 - Al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʻīl: Al-Jāmiʻ as-ṣaḥīḥ, Dār Ibn Kathīr, Beirut 2007.

5 - Al-Faryābī, Aḥmad ibn Maḥmūd: Tahdhīb khālişat al-ḥaqāʼiq wa niṣāb ghāyat ad-daqāʼiq, Dār Ibn Ḥazm, Beirut 2000.

6 - Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid: Iḥyāʼ ʻulūm ad-dīn, Dār al-Minhāj, 1st ed., Jeddah 2011.

7 - Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid: Kimyāʼ as-saʻāda, Maktabat al-Jundī, Cairo.

8 - Al-Ḥillī, Safī al-Dīn: Dīwān, Dār Ṣādir, Beirut.

9 - Al-Hujwīrī, Abū al-Ḥassan ʻAlī ibn ʻUthmān: Kashf al-maḥjūb, Al-Majlis al-Aʻlā li al-Shuʼūn al-Islāmiyya, Cairo 1974.

10 - Al-Qushayrī, Abū al-Qāsim: Ar-risāla al-qushayriyya, 2006.

11 - Al-Suhrawardī, ʻOmar: ʻAwārif al-maʻārif, Dār al-Maʻārif, Cairo.

12 - Bakrī, ʻAlāʼ: Mukhtaṣir tārīkh at-taṣawwuf, Dār Ibn al-Jawzī, Cairo 2012.

13 - Chevalier, Jean : At-taṣawwuf wa al-mutaṣawwifa (Le soufisme), translated

by Abd al-Qādir Qannīnī, Ifriqia al-Sharq, Beirut 1999.
14 - Ibn Māja: Ṣaḥīḥ sunan Ibn Māja, edited by Nāṣir al-Dīn al-Albānī, Maktabat al-Maʻārif, 1st ed., Riyadh 1997.
15 - Ibn Manzūr: Lisān al-ʻArab, Dār Ṣādir, 4th ed., Beirut 2005.
16 - Sulṭān, ʻAbd al-Muḥsin: At-taṣawwuf al-islāmī fī marāḥil taṭawwurih, Dār al-Āfāq al-ʻArabiyya, Cairo 2002.